الإرشاد القرآنيّ يقود
حياة الإنسان إلى خير .

لم يترك المنهج القرآني حياة الإنسان تسير عبثا ، إنما لا زمها وأخذ بزمامها إلى الطريق المستقيم ، واتخذ لذلك طرائق كثيرة منها :

١- اللجوء إلى الله بالدعاء وطلب العون والمساندة والتضرع إلى خالق الأرض والسماء .

ولكن لماذا اللجوء إلى الدعاء ؟

لأن فيه اعتراف بوحدانية الله وإقرار بالعبودية وفي الدعاء والتضرع إلى الله تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله ، وقد كان الرسول- ﷺ - يلجأ إلى الله في كل صغيرة وكبيرة يستعين به ويستهديه ويدعوه ويطلب منه العون آناء الليل وأطراف النهار وقد أثر عنه كثير من الدعاء وعلمه لأصحابه ، يقول تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠]

ويقول - تعالى- آمراً بالدعاء والتضرع :

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:٥٥]

وهو يطمئن الإنسان المسلم إلى أن الله قريب يسمع الدعاء ، ويجيب من يلجأ إليه ويدق بابه ، يقول تعالى :-

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦]

ومن أجل ذلك كانت الاستخارة وما يصحبها من دعاء إذا هم الإنسان بأمر من الأمور يستخير ربه ، ويأخذ منه المدد ويطلب منه أن يرشده إلى خير الأمور وييسر له سبل الخير .

كان رسول الله- ﷺ - القدوة ، إذ علمنا كيف تكون الاستخارة :فيقول : " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسلك من فضلك العظيم ، فأنك تقدر ولا

أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به "[1]

ولأن الدعاء مخ العبادة، فقد كان الأنبياء، يدعون ربهم ويلجأون إليه، فهذا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يدعو ربه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء:٨٣:٨٩]

وجميل حقاً أن يجد له رباً يلجأ إليه، وجميل أن يشعر الإنسان أن له معينا وسنداً.

إن المدنية الحديثة والتقدم العلمي المادي في شؤون الحياة، وما جاء به من رفاهية لم يحقق لكثير من البشر والسعادة، لأنها مدينة ركزت على جانب الحياة المادي، وأغفلت جانب الروح فتبددت السعادة، والشعور بالرفاهية، لذلك كثرت حالات الانتحار والخلاص من الحياة عند كثير من هذه الدول المتقدمة على ما فيها من متعة ورفاهية وسبل راحة.

فقد أفقدتهم المدنية مشاعر السعادة وأورثتهم القلق والصراع والتناحر، وعدم الرضا، فكان الجنون والصرع والأمراض النفسية المزمنة التي انتهت بكثير منهم إلى التخلص من حياتهم بالموت.

١- البخاري وأبو داود.

أما " إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ، ويمده إذا ضعف ، ويعينه إذا احتاج ، إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة والمضاء " [1]

٢ - الصلاة والاستعانة بها وبالصبر في مواجهة الحياة فقد حث عليها القرآن وأوجب أداءها في أوقاتها ، قال تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾

[الإسراء:٧٨:٧٩]

والصلاة طهرة للإنسان ، وتجديد للعهد بينه وبين ربه لأنه في كل وقت يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسوله .

والإنسان حين يقف مناجياً ربه أثناء صلاته فإن الله يطهره ويصلح ما في نفسه من أدران وعيوب إذ يستل منه الحقد والحسد ، والأنانية ، والكراهية ويضع مكانها ؛ الرضا والقناعة والمودة وطيب النفس ، والهدوء والسكينة ، لذا تجد من يداوم على الصلاة في أوقاتها يحيا حياة طيبة مرتاح البال ، وصدق رسول البشرية - ﷺ - إذ كان يقول لبلال بن أبي رباح :" أرحنا بها يا بلال "

نعم هي تكسب الإنسان الراحة ، وتعوده النظام والعمل في جماعة واتباع رأيها وعدم الخروج عن الإجماع ، وتعوده طاعة الإمام واحترام الجوار ، والهدوء .

وهذا ليس بدعاً ولا مبالغة ولنضرب مثالاً من حياتنا :

افترض أنك تمتلك سيارة ، ومن باب المحافظة عليها تعرضها على الميكانيكي الذي يعرف أسرارها كل يوم ، فكيف يكون حال هذه السيارة ؟ لاشك أنها ستكون في حالة ممتازة جداً .

١- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٨٨ .

فما بالك بالإنسان ، يعرض نفسه على ربه ويقف بين يديه خمس مرات كل يوم . . هذا الوقوف المتكرر أمام الله ، يصلح ما في نفسه ويكسبه الخير ، لأننا حين نقف أمام الله في الصلاة لا ندري ما الذي يصلحه فينا وما الذي يفعله في نفوسنا لأنه أدرى بنا وأعلم بكل إنسان " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " وصدق الله القائل في فائدة الصلاة :

﴿ ....إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ .... ﴾ [العنكبوت:٤٥]

٣- الصوم وتربية النفس وتهذيبها إذ ليست حكمته في الامتناع عن الطعام والشراب فقط بل حكمته في التزام العهد مع الله وتنمية الضمير وتعويده على الصدق ومراقبة الله -عزوجل- فضلاً عن شعورة بآلام الجوع والعطش والإحساس بما يحس به المحتاجون من الفقراء والمساكين عندئذ يرقّ قلبه ، ويكون التآلف والعطف على الآخرين .

والصوم مدرسة يتعلم فيها الإنسان مكارم الأخلاق حين يمتنع عن بذيء الكلام وفاحش القول ، وإذا سبه أحد أو شاتمه يقول له " إني صائم " من هنا يطيب الخلق ويعتاد التسامح وحسن معاملة الآخرين ، وفيه تدريب على مغالبة الشهوات والانتصار على النفس .

وتلك أسمى دروس التربية والإصلاح .

ياله من دين قيم !

لذا كان الصوم وكان فرضه لصالح المسلمين :

يقول تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣]

٤- وفي الزكاة طهرة للمال وتنقية له ليكون حلالاً ينفع صاحبه وإقرار من العبد أمام ربه أن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف فيه يؤدي حقاً

معلوماً منه للسائل والمحروم ، ذلك أن " حب المال والحرص عليه والضن به والأثرة من أجلى مظاهر الضعف البشري ؛ بل إنه سبب أدواء مهلكة للنفس ، وسبيل إلى العداوة والبغضاء والحسد ، وتصدع بناء المجتمع يؤدي إلى الفساد والشقاء . والغني والفقر ظاهرة من ظواهر الحياة لا سبيل إلى تغييرها أو القضاء عليها ، والمساواة بين الناس مستحيلة ما داموا يتفاوتون في المواهب والتفكير ويختلفون في طرائق الحياة . ومنهج القرآن في بناء المجتمع لا يترك المال دوله (متداولاً) بين الأغنياء فقد فتت الثروة بالميراث ، وقرب المسافة بين الغني والفقير بالبذل والزكاة وضمن الحياة الكريمة للفقير بكفالة الدولة وحرم الربا حتى لا ينموا المال بغير جهد " [1]

" والمال زينة محببة إلى النفس ، يؤدي حبه إلى التعرض في جمعه للشبهات والنفاق والذل ، كما يؤدي الحرص عليه إلى الشح والأثرة وقطيعة الرحم وعداوة المجتمع ، والوقوف من الواجبات موقف البخيل الذي لا يتفق مع رجولة أو خلق أو كرامة ؛ وكلها موبقات للنفس ، ودلائل على الضعف ، ودواع للعداوة والبغضاء . ولا يقضي القرآن على كل هذه الأدواء بمجرد التشريع والأمر بدفع الزكاة كضريبة تحصلها الدولة ، ولكنه يتخذ خطوات تربوية حتى ينتهي بالنفس إلى البذل رغبة وطواعية وحباً وتطهيراً ، قد بدأ بالمعرفة وتقدير نظرية المال حتى يفهم المالك حقيقة وضعه من حاله . فالله هو خالق الكون ومالكه ، والمال ماله ، ولا يملك صاحبه منه إلاّ حق الانتفاع به ، فهو عنده وديعة ينفق منه ينفق في حدود أوامر الله " [2]

١- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٩٥ .
٢- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٩٥ .

وفي هذا الصدد يحث على إنفاق المال طوعاً في سبيل الله ويرشد المسلم إلى الوجوه التي يصرف فيها زكاته، يقول: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة:١٧٧]

إن فريضة الزكاة تعلمنا بذل المال والسخاء وتعيننا على الانتصار على داء الشح المهلك، وتساعدنا على التحرر من عبودية المال، والمساهمة في وجوه الخير التي تفيد المجتمع وفي ذلك كله طهرة للمال وتزكية للنفس، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ....﴾ [التوبة:١٠٣]

٥- وفي فريضة الحج وأدائها دروس تربوية غالية، وهي تستعرض من المسلم عدة أيام حتى يتم مناسكها يظل محافظاً على نفسه من الشهوات مقاوماً وفي ذلك تدريب عظيم للنفس التي جبلت على طاعة الهوى.

ومن الدروس العظيمة لهذه الفريضة الشعور بالمساواة إذ يقف الفقير بجوار الغني، والضعيف بجانب القوي لا فرق بينهم جميعا.

وملابس الإحرام هذا الذي الموحد إشعار بتساوى البشر أمام رب الأرض والسماء.

ملابس واحدة ودعاء واحد ومناسك واحدة، كلها أمور تشعرك بالمساواة بين البشر جميعاً، حقا إنه الدين الحنيف، يقول تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧]

وحسب المؤمن من الحج إحساسه بأنه في ضيافة الله ، متعرض لنفحاته ومغفرته وفضله ، يعيش أياماً متجرداً من دينه ، في جو كله الحب والفناء في الله، جو يعود به إلى ذكرى جده إبراهيم ، فيسعى بين الصفا والمروة ، فيذكر سعى هاجر بحثاً عن الماء ، وينحر الهدى فيذكر قصة الطاعة المؤمنة والحب وإيثار ما عند الله"[1]

الإسلام دين الفطرة ، لذا جاء منهج العبادة يلبى مطالبة ويوافق فطرته ، ويجعل من العبادات ، الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائل تنير له الطريق ، وتقدم له العلاج لما عنده من ضعف حتى يصل إلى غايته المنشودة ويؤدي رسالته التي كلف بها على خير وجه ، والتي لن تتحقق إلا باتباع الصراط المستقيم والسير فيه حتى تتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة يقول تعالى :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ....﴾ [الأنعام:١٥٣]

صدق الله العظيم .

١- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ٢١٣ .